اسهامات العرب والمسلمين في الكشوف الجغرافية الاوربية

أ.د. سميرة عبد الرزاق عبد الله

قسم التاريخ

كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

زاد أهتمام العرب والمسلمين بالاراضي منذ قيام الدولة العربية الاسلامية وكان منبع اهتمامهم من توجيهات القرآن الكريم بالاستخلاف في الارض، فكان الكون عباره عن كتاب مفتوح ينهل منه الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين.

ازدهرت الحضارة العربية الاسلامية طوال قرون عدة ، وكان من مأثرها ان انتشرت في انحاء العالم ، واحتوت واستوعبت تراث الأمم القديمة في شتى الميادين وطورته وأضافت اليه الجديد ، فهي لم تكن حضارة مقلدة بل كانت مبتكرة ، مما سمح لها بالتأثير في المشرق والغرب، ولا سيما في الميادين العلمية. وعدت الحضارة العربية الاسلامية من العوامل التي أدت الى إستفاقة أوروبا من سباتها العميق، إذ كانت تعيش مرحلة خطيرة من الانحطاط والتخلف في العصور الوسطى. وقد اعترف العديد من المؤرخين والاوروبين بفضل العرب على أوروبا وأكدوا إدانتهم للعرب بحضارتهم التي بدأت بعصر النهضة. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" " إذا كانت هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب تلك الأمة لارهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى أسم اليونان ".

أما الباحثة الألمانية زيغريد هونكه كتبت في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" ما نصه: " في مراكز العلم الأوروبية ، لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء إلا ومد يده الى الكنور العربية هذه يغرف منها ما شاء الله أن يغرف ... ولم يكن هناك كتاب واحد من الكتب التي صدرت في أوروبا أنذاك الا وقد أرتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية وأخذ عنها ايحاءاته وظهر فيه تأثيرها واضحاً ".

ففي خلال القرنين التاسع والعاشر الميلادي كانت الحضارة العربية الاسلامية ساطعة في الأندلس (اسبانيا والبرتغال) . بينما نجد مراكز الثقافة في أوروبا كانت عبارة عن أبراج يسكنها أمراء أقطاعيون متوحشون يفخرون أنهم لا يقرأون ، ولكن ظهر بعض الميل الى العلم في القرنين الحادي عشر والثاني.

ولم يكن أمام الأوروبيين سوى التوجه نحو العرب أصحاب الحضارة والرسالة الخالدة، الامر الذي دفع المؤرخ الفرنسي ليبري الى القول : " لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ ، لتأخر عصر النهضة في أوروبا عدة قرون " .

انتقلت الحضارة العربية الاسلامية إلى أوروبا بوساطة قنوات عدة وميادين واسعة ومن أهم تلك الميادين :-

١- ميدان الاندلس: بقيت الاندلس وهي جزء من القارة الاوربية مدة ثمانية قرون (٧١١- ١٤٩٢) مركز إشعاع حضاري اثناء وجود العرب والمسلمين فيها حتى عدت محط انظار الأوروبيين. فهرع طلاب العلم من مختلف أوروبا الى اسبانيا يدرسون ويترجمون، فدرسوا ابن سينا وابن رشد والرازي والخوارزمي وغيرهم من الفلاسفة ، والعلماء وترجموا كتبهم الى اللاتينية.

٢- ميدان جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط، وأهم هذه الجزر جزيرة صقلية التي فتحها العرب المسلمون سنة ٨٢٧م وبقيت بأيديهم حتى أخذها النورمانديون سنة ١٠٩٠م ومن حسن حظ صقلية ان الحكام النورمانديون اتصفوا بالتسامح وتقدير العلم فحافظوا على مظاهر الحضارة العربية الاسلامية وكان لهم دور كبير في انتقال الحضارة العربية الى جنوب ايطاليا وبلدان أوروبا.

٣- طريق التجار والحجاج والرهبان وطلاب العلم من الاوروبيين الذين زاروا البلاد العربية، والرهبان العرب الذين زاروا ايطاليا.

٤- ميدان الحروب الصليبية التي أستمرت نحو قرنين من الزمن، ابتداءً من القرن الحادي عشر، وكان من نتائجها أن نقل الاوروبيون البوصلة والبارود وأوراق الطباعة الى بلادهم مما مهد السبيل لنهضه الاوروبية والاستكشافات الجغرافية

<u>تأثير الحضارة الاسلامية فى الجغرافية.</u>

برز في المشرق الاسلامي جغرافيون أضافوا الى العلم أحسن التحقيقات من طريق الارصاد الفلكية ومشاهد الرحلات ، وكان للشريف الادريسي (١١٠٠ – ١١٦٤) فضل كبير، اذ وضع كتاب " نزهة المشتاق في أختراق الافاق" ، وصنع لملك صقلية روجر الثاني كرة فضيه تمثل الكرة الارضية، ليتخذها مثالاً لما يثبته من معالم كروية الارض. وتلقى كولومبس (١٤٤٦ – ١٥٠٦) صورة عن الكرة الارضية كما حصل على خريطة الكاردينال بطرس الإبلى التي سماها "صورة الدنيا" واعتمد فيها على المصادر العربية ونشرها في أوائل القرن الخامس عشر قبل رحلة كولمبس بنحو ثمانين عام وهو فضل يحسب للعرب في كشف العالم الجديد.

أدخل العرب تعديلات قيمة على الات الملاحة والرصد ومنها الاسطرلاب وهو جهاز لقياس زاوية أرتفاع الشمس والنجوم ، وقد تمكن أحمد بن خلف في منتصف القرن العاشر الميلادي ان يصنع اسطرلاباً يفوق في صناعته ما صنع في أوروبا حتى القرن الثامن عشر الميلادي.

وبحسب للعرب والمسلمين الفضل في أنهم أول من استخدم البوصلة على نطاق واسع في الملاحه ، وهم نقلوا ذلك الاختراع الى أوروبا وعلموا الاوربيين استخدامها وان البوصلة أحتفظت بأسمها العربي في معظم اللغات الاوربيية .

واذا نظرنا الى الهيئة الخارجية للعالم الايطالي توسكانيللي الذي احترمه معاصروه كطبيب وفلكي وجغرافي ، يخبرنا عن فضل العرب على الاوربيين.

إذ كان يضع العمامة العربية على رأسه اعترافاً يفصل العرب وهو الذي وصلت خرائطه الى ملك البرتغال ومن ثم الى كريستوفر كولمبس الذي تمكن بواسطتها من أنجاز مشروعه العالمي في الاكتشاف. وهكذا اجاءت حركة الكشوف الجغرافية بناءً على قاعدة صلبة بناها المسلمون في زهو حضارتهم تاركين أرثاً جغرافياً بالغ التراث للغرب ولاسيما البرتغال والاسبان.

<u>دور العرب والمسلمين في الكشوف البرتغالية والاسبانية.</u>

رسغ العرب المسلمين مبدأ كروية الارض ونادوا به ويؤكد قولهم بكروية الارض، الكرة الفضية التي صنعها الشريف الادريسي الى روجر الثاني ملك صقلية كما ذكرنا سابقاً.

وبناءً على فكرة كروية الارض دار في خلد الكثرين أمر الابحار نحو جهة الغرب للوصول الى الصين من أقصى الشرق. وكان المقدسي قد أشار الى ان هناك أرضاً مجهولة يبحر لها من جهة الغرب وقد أوردها في الخريطة السعودي.

أعتقد كريستوفر كولومبس الايطالي الأصل كغيره من المثقفين بأن الارض كروية ومن يتجه غرباً يرجع من الشرق. وتابع رحلته نحو الغرب حتى وصل الى جزر الأنتيل في أمريكا الوسطى عام ١٤٩٢ ، وتكررت رحلاته حتى بلغت أربعة رحلات ومات في عام ١٥٠٦ دون ان يعرف إنه أكتشف عالماً جديداً.

وعندما وصل الاوروبيون الى العالم الجديد وجدوا حضارات قائمة كحضارة الازتك في المكسيك وجاء في ملخص مقالة برتن كلين التي نشرها في مجلة " العالم اليوم " وجود كلمات عربية في لغات هنود امريكا أصحاب البلاد الاصليين تعود لعام ١٢٩٠ ، اي قبل قرنين من وصول كولومبس الى امريكا . واكد الدكتور " جوى

لزي" استاذ علم النبات بجامعة بنسلفانيا الامريكيه ، وهو من أصل صيني مستنداً الى وثائق تعود الى القرن الثاني عشر ان المسلمين وصلوا الى السواحل الشمالية لامريكا الجنوبية من الطرف الغربي للعالم الاسلامي وتحديداً من المغرب واكد هذه النظرية الدكتور لن سينج ينج استاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد.

اما ما يتعلق باكتشاف البرتغاليين لافريقيا والالتفات حول رأس الرجاء الصالح فأن العرب وصلوا الى السواحل الافريقية ووصلوا الى أقصى جنوب القارة والى شرق افريقيا من الجزيرة العربية ونشروا الاسلام وظهرت امبراطوريات أسلامية استمرت حتى بداية عهد الاستعمار الاوروبي لافريقيا ، ومنها دولة غانا ومملكة التكرور ودولة مالي وغيرها.

ما كان ينبغي للبرتغاليين الوصول الى الهند عبر رأس الرجاء الصالح الابجهود المسلمين وخبرتهم التي انتقلت الى البرتقال على أيدي علماء اليهود. ففي عام ١٤٩٢ طرد الاسبان اليهود الى البرتغال فأخذ هؤلاء معهم علوم العرب الملاحية ونقلوها الى العبرية ، وأمدت جماعة منهم فاسكو دي كاما فيما بعد بالجداول الفلكية الخاصة بالملاحة حول افريقيا. ويذكر ان فاسكو التقى في ماليندي بربان عربي ولم تذكر المصادر البرتغالية اسم الملاح، والذي صرح بأنه الملاح العربي الشهير أحمد بن ماجد مخطوط لقطب الدين النهرواني الذي يعود تأليفه الى عام ١٥٧٧ بعنوان " البرق اليماني في الفتح العثماني" ، ولكن دليل ديكاما لا يمكن ان يكون ابن ماجد الرجل التقي الورع وانما كان معلم اخر.

أما فيما يتعلق برحلة ماجلان حول الارض لاثباته كروية الارض ، فما ان وصل الى أقصى الشرق حتى فوجئ بالوجود الاسلامي في جزر شرق اسيا الذي كان بدوره عقبه في التوسع الاسباني وتعطيل حركة التنصير هناك.

وبذلك فان للعرب والمسلمين دور واضح في معرفة العالم بقاراته وما يحيط بها من مياه ممثله في المحيطات والبحار، وان العرب المسلمين هم الاسبق في الاستكشاف لذلك العالم ، وان ما تركوه من خرائط كان الاساس للفكر الجغرافي الذي سار عليه الغرب وان الجغرافيين العرب طافوا بلاد العالم في رحلات ومجهودات فردية على العكس من الرحلات والاستكشافات الاوربية التي وقفت وراءها الدول الاوربية والكنيسة.